الأنوار
بيروت – الأربعاء ٢٣ تموز ٢٠٠٨ – السنة ٤٨ – العدد ١٦٨٧٥
Beyrouth - Mercredi 23 Juillet 2008 - 48e Année - No. 16875

نداء الروح

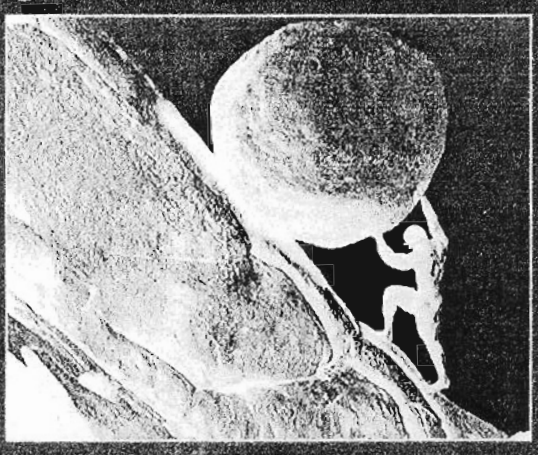

■ د. جوزيف مجدلاني

على الدرب القدرية يجدّ المرء
في البحث عن الجوهر في الشيء
والجوهر لا يتواجد إلا في الخبء
حيث سكون الأعماق ينفض عنه كل عبء...

يخترق الباحث أعماق النفس حيث البصيص لا يخطئ
ينفذ الى داخل النور، ويمد يده ليملأ
فالروح، ذلك الكل في الجزء
هبة الإله، ينبوع حنان ودفء

يسلك درب المعاناة، وكأن المعاناة امتلاك
يتألم، ومع كل آهة تقتلع من الله الأشواك
كأنما الدرب بات درب ورود يهواك
أو أنت تهواه، فالألم عذب كما في المرض دواك!

يتقدم الباحث ويرتفع مدماكاً تلو مدماك
يرى الأمان حتى في خطر الهلاك
يتذوق طعم العلقم، وطعم الرحيق يشده الى الأفلاك
وكأن العذاب وحده سوف يخرجه من الأشراك!

تناديه الروح بهمس ملاك:
«ما أنتَ إلا بي، وما أنا لولاك
لو كنتَ تعرفني وتستسيغ طعم الإدراك
لكان تلاشى سبب الملك وضناك

ما كنتُ لأختبر الحياة لو لم أنلْ رضاك
بل إنّ وهج نوري هو ضياك
وعالمي أبقى من سَماك
لو تدرك معنى الحقيقة لتبخّر من النفس أساك!

أنظرُ الى عمقي، فأستشف ملامح محياك
وأتأمل في سكوني، فأسمع أنين شكواك
أنصتُ الى نغماتي، فأنعم بمغناك
واتحسس وجودي، فأشعر بدفء شذاك!

أصْمُتُ، وكأن من ارتجاف الحروف قد تعب فاك
أو كأن الكلام يأتي النطق بغير معناك
فأسمع في الصمت بلاغة تخبر عن حكمة مولاك
اسمع سكوناً يفصح عن سمو رُباك!

أحاول أن أستشف المعنى ومغزاك
فلا أدرك غير أني شعاع ممن حواك
هو النور، وما أنا منه إلا عُلاك
أنت دنيا الوجود، وأنا ذكرى في نُهاك!

وتسترسل الروح:
«أنت دخلتَ محرابي لتفهم فحواك
فما وجدتَ غير بصيص يرشد الى نور وَعاك
دخلتَ لتعي حقيقة لم تتحدث عن سواك
وكأني تلك الحقيقة... لكني لستُ منها سوى مدار الأفلاك!

دخلتَ محرابي تبحث عن الله أحياك
وكأني بك تجهل أني لست نهاية مرماك
فما أنا سوى شعاع، ما اكتمل لولاك
ما اعظمك أيها الانسان تبحث عمّن احتواك!

أنتَ أعظم مني أرضاً... وأنا بحور في سَماك
أحترقُ بعظمتك، بشمولية مُلقاك
فما أنا غير عتبة على باب منتهاك
لكنك إن تجاهلتني سقطتَ من عليائك!

تبحث في محرابي عن مثواك
تستقرئ وجهي علني أدلك الى سناك
وهل الحياة تنتشي بغير نَداك؟
فلا تبحث عني بل نقّب عن أسرار الوجود في حناياك!

أنا فيك، فهلاّ شعرتَ بي يوماً رحماك
بل أنا وجودك، فهلاّ نلتَ مرةً رضاك
سُجنتُ فيك، لكني أحب التوحّد في ثناياك
أرى الحرية قيد باع... لكن مُنايَ أن أظل من أسراك؟!

تدخل محرابي لتتعبّد في ذاتك بعيداً عن ثَراك
تحسبني النور، لكني لم أوجد إلا لأنير مداك
وتحسبني الهدف، لكني لست إلا لأقود خطاك
فتأمّل أيها الانسان... علّك تدرك أين ذراك!!!..